البيان الأوّل لجماعة المسرح والتراث العربية

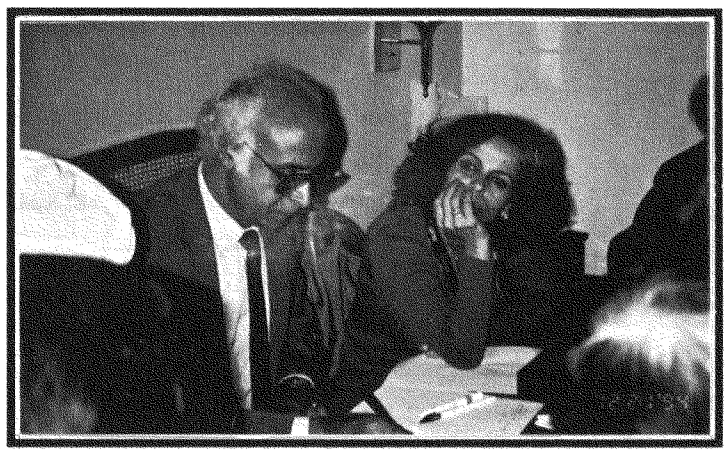

السيد راضي عضو جماعة المسرح والتراث العربية، ووطفاء حمادي هاشم مديرة العلاقات الثقافية في هذه الجماعة

المقدّمة

في عصر شائك العلاقات، يشهد انقلابات ومتغيرات جوهرية في المفاهيم عامة والمواقف الثقافية خاصة، وانزياحات سريعة عن الثوابت الأساسية للمكوّنات الشخصية، لم تعد التصفيات العرقية إلاّ إحدى الممارسات البدائية الفجّة للتصفيات الحضارية. في هذا العصر تبحث الشعوب عن تأكيد وجودها، وعن حماية هذا الوجود وتمايزه تحت مظلّة الولادة الجديدة لعالم القرن الحادي والعشرين، وذلك باللّجوء إلى ذواتها، وإلى المقدرات الكامنة فيها لحماية هذه الذوات في معركة وجوديتها الحضارية. فلم تعد الأسلحة المعاصرة تقليدية فحسب، وإنّما تنوّعت فنونُ الاستلاب بأسلحة معنوية مرّة، وأيديولوجيّة تلفيقية مرّة أخرى تنطلق من الدعائية الإعلامية، وتفرض حصاراً ثقافياً على شعب، واقتصادياً على آخر، وتجويعاً غذائياً لشعب ثالث، وغرضها من كلّ ذلك تركيع تلك الشعوب ومحاربتها في تراثها وتأريخها وثقافتها...

وإيماناً منّا بمكانة المسرح في لوح الحضارة الإنسانية، وبأنّ التفاعل ما بين مسرحنا وتراثنا إنّما يعني الإسهامَ بأفضل وسيلة اتّصال ثقافية في صياغة مشروعنا الحضاري وحمايةِ ثوابت امّتنا وشخصيتها التأريخية بجعلها متراثية في الحاضر مستمرةً في الآتي...

ومن أجل انبثاق آفاق مستقبلية جديدة في المسرح، وفتح نوافذ الحاضر على الماضي، والماضي على الحاضر، في بناء عمارة لمستقبل عربي منشود تأخذ موقعها المشرّف بين العمائر الإنسانية، تتّصل معاً ولا تنقطع، تتفاعل ولا تتقوقع... إيماناً منّا بكلّ ذلك فقد اجتمعنا، نحن المسرحيّين القادمين من الأقطار العربية، في ملتقى القاهرة العلمي الأوّل لعروض المسرح العربي لغرض تكوين جماعة تدعى باسم: «جماعة المسرح والتراث العربية»، من أهدافها:

١ - السعي لتحقيق هوية عربية للمسرح. ٢ - الوصول إلى المحيط العالمي، والتعريف بالمسرح العربي. ٣ - تحريك الساكن من التراث، باللّون المسرحي. ٤ - إحياء ما يلزم من ظواهر، وتسجيلها. ٥ - تسجيل بيانات بالممارسة الفعلية لإحياء التراث، ونقله مسرحياً وبحثياً للأجيال القادمة.

ونسعى لتحقيق هذه الأهداف من خلال المعطيات التالية:

أوّلاً - الاختيار

١ - إن اختيارنا لهذا الاسم قد جاء بناءً على معطيات تحدّد وجهتنا في اتّخاذ التراث كوسيلة من أهم وسائل تحقيق الهويّة العربية في المسرح العربي، وذلك بعد ملاحظتنا أنّ كثيراً من الاتّجاهات المسرحية العربية نتاجات غربية بعيدة عنّا شكلاً ومضموناً، وبعيدة عن وعينا وذائقتنا الجماليّن، بل إنّ بعضها يوغل في الاجتهاد إلى حدّ الاغتراب عن المسرح نفسه.

٢ - إنّ التراث المتنوّع لشعوبنا الممتدّة على صدر قارتي آسيا وأفريقيا، بتراث الأمم المجاورة وثقافاتها، لا بدّ أن يقابله تنوّعٌ في الأشكال المسرحية، وإغناءٌ وتعدّدية في القيم والأفكار التي تطرحها تلك الأشكال. وبذلك يصبح المسرح وسيلةً من وسائل الحوار الثقافي والفكري والفني.

٣ - لمعرفة الذات معرفة حقيقية، والحفاظ عليها، لا بدّ من

تمثّل التاريخ القديم، والمعاصر، والالتصاق بالشعب في جميع الأقاليم والأقطار في البادية والرّيف والمدينة.

٤ – كان من الطبيعي أن تولد جماعة المسرح والتراث العربية في القاهرة، وذلك أثناء انعقاد أوّل ملتقى عربي مسرحي يدعو، بوعي وشمولية، إلى تأصيل المسرح العربي، إسهاماً في الحفاظ على الشخصية العربية. وليس من المصادفة أن يشترك في الدعوة لها، وتأسيسها، باحثون ومبدعون من أغلب الأقطار العربية. فهذه الوحدة المصغّرة في الجماعة، وهذا التحرّك الجماعي، هما انعكاس لوحدة التراث العربي وتنوّعه ضمن هذه الوحدة. إنّ الإحساس المشترك بالخطر الداهم الذي تتعرّض له أمّتنا في زمن الصراع الجديد قد كان من أهمّ الأسباب التي دعتنا إلى تأسيس هذه الجماعة.

ثانياً – التاريخ والتراث

١ – إنّنا نفرّق ما بين التراث والموروث. ونحن نأخذ من الموروث ما يمكن أن يكون تراثاً نعتزّ به لشرفه ونبله وإمكانية استمراره والإفادة منه، لأنّه يحمل جوهر التجربة والحياة. ولئن كان الموروث تراكماً مختلطاً، فإنّ التراث فكر، ومنهج، وزمن وجمال متجدّدان.

٢ – إنّ نظرتنا إلى التراث ليست مَتْحفية ولا سلفية، بل هي رؤية اتّصال وصيرورة. وإنّ مجرّد نقل الظاهرة [التراثية] إلى مجال المسرح يعني أنّها ماتزال حيّة، وأنّ حضورها في المسرح بعد سلسلة من عمليّات الإعداد الفكري والفنّي يعني التأكيد على صيرورتها وإعادة خلقها من جديد. وبذلك تنتقل الظاهرةُ من الماوراء الزمني إلى الأمام المعرفي، وبأشكال فنيّة معاصرة مستلهَمَةٍ من وعينا الجمالي وذوقنا.

٣ – إنّ جماعتنا هذه بقدر ما تحمل من قيم قومية تحمل قيماً إنسانيّة. فهي ليست عصبيّة قوموية، ولكنّها تنحو للقدر الذي يشعر به الإنسان باستقلاله ووجوده، وفي الوقت عينه يحترم استقلالَ الآخرين ووجودهم. إنّ تحقيق شرط الإنسانية لا يكون بامّحاء الوجود الذاتي والقومي والتماهي في الآخر. ولهذا فإنّ جماعتنا تنفتح، وتتحاور، وتتآزر مع جميع الجماعات المماثلة التي تحترم هذا الشرط.

ثالثاً – النظرة والنظرية

١ – جماعتنا تؤسّس لنظرية جمالية وفكرية في فنّ المسرح العربي، ولا تترك ماضيها القريب لفنّ العرض المسرحي المعاصر... في حين تستند بقوّة إلى ذلك الإرث النابض في فنون العرض المسرحي القديمة، التي طالما عايشها الجمهور، وتعايشَ معها، ومايزال: فهي ذائقته التي يراها تعبّر عن وجدانه، وتنطلق من مقوّماته التاريخيّة والسياسية والاجتماعية، وبالتالي تتوجّه له بخصوصيّته من خلال نمطيتها التي اعتادها على مدى مئات السنين. وذلك هو المفصل الرئيس في توجّه جماعة المسرح والتراث العربيّة؛ وهو مفصل شائك وخطير، محفّز ومحبط، منظّم وفوضوي. ففي الوقت الذي يتكدّس الإرثُ التليد مقروءاً ومحفوظاً، ومنسيّاً في الذاكرة الجَمعية لمئات السنين، ومن جيل لآخر، نأتي نحن لكي نستعيد ما يتيسّر لنا لكي نستلهم العنصر الحي منه.

٢ – ليست غايتنا تزيين الأشكال المسرحية الغربية بموروثات شعبية عربية، بحيث تكون المادّة التراثية في المسرحية مادّة تزيينية أو ترفيهية. بل إنّ غايتنا هي تأصيل مسرح عربي تتجدّد فيه شخصيتنا وقيمنا الجمالية والفنيّة التي يتّصل ماضيها بحاضرها في حركة عبور سليمة نحو مستقبل نبنيه بأنفسنا ضمن الأطر الكبرى لحضارتنا التي نحرص على استمرارها في عالم يتشكّل اليوم من جديد: عالمٍ تصل فيه حرابُه إلى جيناتنا الثقافية لتبدّل إنساننا العربي، بإنسان آخر لا ينتمي إلينا: إنسان آليّ تسيّره أنظمةٌ عالمية مسيطرة تضع نفسها في مرتبة «القائد» والآخرين في مرتبة «التابع». وهكذا فإنّ الوقوف بوجه ذلك في مجال المسرح يقتضي منّا: ارتيادَ تراثنا، والكشفَ عنه، والتمسّكَ به في مختلف أنواعه، واستحضار هذا التراث جوهراً في الإبداعات المعاصرة التي ترتاد حقول الواقع وتستشرف آماد المستقبل. وهذا يعني أنّ علمنا يبدأ من النّص المسرحي، ويتشكّل على خشبة المسرح، ثم ينتهي بالجمهور المسرحي.

٣ – إنّنا لا نقف ضد المعاصرة، بل ندعو لها، ولكنها معاصرة المتّصل لا المنقطع، معاصرة تحتفظ بثوابت حضارتنا، وترتبط بالحرية الفكرية، والفنية، والتجريب في المسرح، المنطلق من رموز تراثنا، وواقعنا. وإنّ في تراثنا وواقعنا إمكانات لتشكيلات مسرحية إبداعية، فنيّة، وفكريّة عصرية لا حدود لها. ولمّا كنّا لا نحصر التراث بتحديد زمني، فنحن نضع في اعتبارنا حين نتناول الواقع أن نساهمَ في خلق تراث يعتزّ به من يأتي بعدنا...

عبد الفتاح قلعةجي